﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾ [القصص: 26]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعدَ النَّجاةِ يحصلُ تأمينُ المأوى والرِّزق

لمّا أخبرتِ الآيةُ السّابقة ببشارة الرّجل الصّالح، وحصلتِ الطُّمأنينةُ في نفس موسى عليه السلام، ناسبَ ذِكْرَ إيماءِ إحدى الابنتين في خطاب أبيها بأن يستأجرَه، ليَحْصُلَ بعدَ البِشارة تأمينُ المَأْوى والرِّزق.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡقَوِيُّ﴾: (قوي) أصلٌ يدلُّ عَلَى شِدَّةٍ وخِلافِ ضَعْفٍ[1]، والقوَّةُ تستعمل تارةً في معنى القُدرة، نحو قولِه تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة: 63]، وتارةً للتّهيّؤ الموجود في الشّيء، نحو أن يقال: النّوى بالقوَّةِ نخلٌ، أي: متهيِّأ ومُتَرشِّحٌ أن يكون منه ذلك، ويستعمل ذلك في البدن تارةً، وفي القلب أخرى، وفي المُعاوِن من خارج تارةً، وفي القُدرة الإلَهيّة تارةً[2]، والمعنى هُنا: القادِرُ شديدُ القوَّة[3].

2) ﴿ٱلۡأَمِينُ﴾: أصلُ (أمن) منَ الأمانةِ الَّتي هيَ ضِدُّ الخيانَة[4]، والأمْنُ: نقيضُ الخوفِ، والأمانةُ: وثاقَةٌ في الباطن؛ كالنّاقة الوثيقة الخَلْقِ، والأمينُ: الحافظُ، وقد أَمُن أمانَةً، ورجلٌ أمين وأُمّانٌ، أي: لَهُ دَينٌ مأمونٌ به ثِقَة، فالأمينُ هو المُؤْتَمَنُ[5]. وأمانتُه عليه السلام تشمل المحافظةَ والعِفَّةَ والاستقامةَ وعدمَ الخيانة[6].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قوي).
(2) الرّاغب، المفردات: (قوي).
(3) الشّيخ علوان، الفواتح الإلهيّة: 2/ 80.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أمن).
(5) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (أمن).
(6) شحاته، تفسير القرآن الكريم: 20/ 3985.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أبـــرزُ صـفـاتِ العامل النّاجِح القوّةُ والأمانة

تُخبر الآيةُ الكريمة بما قالته إحدى البنتين لأبيها: يا أبتِ اتَّخِذْه أجيرًا لرَعي الغنمِ والقيامِ على شأنها، فإنَّ خير مَن تستأجِرُهُ للرّعي القَويُّ على حفظِ ماشيتِكَ، الأمينُ الذي لا تخاف خيانتَه فيما تأمَنُه عليه، فبالقوَّة يُؤدّي ما كُلِّف به، وبالأمانة يحفظُ ما ائتُمن عليه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الاستئناف البيانيّ:

طبيعةُ النَّفسِ متشوّفةٌ إلى معرفة متعلّقاتِ الأحداث المَذكورة

قولُه تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ جُملةٌ مستأنَفةٌ، فلمّا آوى الرَّجلُ الصّالحُ موسى ﷺ، وأعطاه الطُّمأنينة، وكان من كفاية موسى ﷺ وديانتِه ما يُرَغِّبُ في عِشْرَته؛ تشوَّفتِ النَّفسُ إلى حالهما حينَئِذٍ، فكأنّ سائلًا سأل: ماذا كان بعد هذا التَّأمين لهذا الرَّجل القَويّ الأمين؟ فقال مُستأنِفًا لذلك: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾[2]، فإنَّ النَّفس تتشوّفُ إلى معرفة بقيَّة أحداث القصَّة، لاسيما بذِكْر مَجيء المرأة على استحياء، المسبوقِ بذِكْر دعاءِ موسى ﷺ.

بلاغةُ الإيماءِ في أسلوب نداء البعيد:

فـي الـنّـفـوس حاجاتٌ تستبين في دقائق النَّظم

استعمل النَّظمُ الكريم أداةَ النّداء للبعيد في ذكر نِداء المرأة أباها في قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾، وفي النِّداء بأداة البُعد استصغارٌ لنفسِها وجلالةِ أبيها[3]؛ فهي توقِّر أباها، كما أنَّ هذا النّداء هو توطِئَةٌ لطَلبها ﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾، كما يحمل في طيّاته إشارةً لِما في نفس هذه المرأة، وكأنَّها تُنادي من مكان بعيدٍ طالبةً من أبيها ما يَفْقَهُهُ عنها دونَ تصريح. وغرضُها من هذا النِّداء توقيرُ أبيها.

---

(1) لجنة من عُلماءِ الأزهر، المنتخَبُ في تفسير القرآنِ الكريم، ص: 578، ونُخْبة من أساتذة التَّفسير، التَّفسير المُيَسَّر، ص: 388، وجماعَةٌ من علماء التَّفسير، المُخْتَصَر في تفسير القرآن الكريم، ص: 388.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 269.

(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 269.

غرضُ أسلوبِ الأمر:

التماسُ الإعانةِ وتحقيقُ الطُّمأنينةِ الدّائمةِ

لمّا نادَتِ البنتُ أباها بنِداء البعيد طالبةً منه استئجارَ موسى عليه السلام بقولها: ﴿ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾، فإنّ هذا الأمر ليس على معناه الحقيقيّ، فهو ليس طَلبًا للفعل على وجه الاستعلاء؛ لأنَّ البنتَ لا تأمُر أباها، ولكنّه أمرُ التماسٍ واقتراح، فإنَّ لهذا الاقتراحِ فوائدَ يظهرُ بعضُها من مثل إنهاءِ مشكلةِ السّقايةِ، وما يُشابِهُها من متاعبَ تابعةٍ للأعمال التي يُحسنها الرّجال، وفوائدَ تستَكِنُّ في النّفوس، تُفْقَهُ إيماءً وإشارةً.

عِلَّةُ توكيدِ جملة التَّعليل:

إظهارُ الرّغبة في الخير والاغتباطِ به

عَلَّلَت ابنةُ الرَّجلِ الصّالح قولَها، فقالت مُؤكِّدةً، إظهارًا لرغبتها في الخير واغتباطِها به: ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ﴾[1]، والتَّأكيدُ ليس لإثبات مُنْكَرٍ، أو دَفْعِ شُبهة، بل هو تأكيدٌ نفسيٌّ يعكسُ قناعتَها ورغبتَها في استئجاره، فهو لبيان حِرْصِها عليه، وتمسُّكِها به.

بلاغةُ استعمالِ مفردة ﴿خَيۡرَ﴾:

الخيريّةُ أمُّ الكمالِ المبنيُّ عليها غيرُها

آثَرَ النَّظمُ الكريم اختيارَ مفردة ﴿خَيۡرَ﴾ للمُبالغة في الاهتمام بأمر الخَيريَّة؛ لأنَّها أمُّ الكمالِ المَبني عليها غيرُها[2]، ولبيان أنَّ أولويّةَ الاستئجارِ هي خيرٌ مَحْضٌ يُرجَى منه الخيرُ.

بلاغةُ التَّقديم والتَّأخير في المتساويين تعريفًا:

يُلحَظُ أنَّ النّظمَ الكريم جعل المُسنَدَ إليه ﴿خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ﴾ اسمًا لأداة ﴿إِنَّ﴾، وجعل ﴿ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ مُسندًا خبرًا لها، مع صِحّة جعل ﴿ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ هو المسندُ إليه؛ فإنَّهما متساويان في المعرفة من حيثُ إنَّ المُراد بالتّعريف في الموصول المضافُ إليه ﴿خَيۡرَ﴾، وفي المُعَرّف باللّام هنا العمومُ في كليهما، فأوثِرَ بالتّقديم في جُزْأيِ الجملةِ ما هو أهمُّ وأولى بالعناية، وهو خيرُ أجيرٍ؛ لأنَّ

يُلحَظُ في التَّقديم العنايةُ بجملةِ التَّعليل

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 269.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 274.

الجملة سيقت مساقَ التَّعليل لجملة ﴿ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾، فَوَصْفُ الأجيرِ أهمُّ في مقام تعليلها، ونفسُ السّامعِ أشدُّ ترقُّبًا لحالِه[1].

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالاسم الموصول:

تعميمُ الحُكمِ على كلِّ مستأجَرٍ لعمل

جاء التَّعبيرُ باسم الموصول في قوله تعالى: ﴿مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ﴾؛ إرادةً للتَّعميم الذي هو أجمل وأليقُ في مدح النِّساء للرِّجال منَ المدح الخاصّ، وأبقى للتَّحشُّم والتَّصوُّن، ولا سيما بعد أن فهمتِ البنتُ غرضَ أبيها، وهو تزويجُها منه[2]، وليكون هذا الحُكم عامًّا في كلِّ مستأجَرٍ لعملٍ ما، فإنَّ القوّة والأمانة هما خيرُ صفاتِ الأجير.

دلالةُ التَّعبير بصيغة الماضي:

المُجَرَّبُ المعروف أرسخُ في القَبولِ

جاء التَّعبيرُ بصيغة الماضي ﴿ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ﴾ والمعنى على الاستقبال؛ للدّلالة على أنَّه أمرٌ قد جُرِّب وعُرِفَ[3]؛ فقد عَرفَتْ ابنةُ الرّجل الصّالح قوّة موسى ﷺ ممّا شاهدت من سرعة السّقاية، المُعبَّرِ عنها باستعمال الفاء التَّعقيبية ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾، وأمانتَه ممّا شاهدت من تولّيه إلى الظِّلِّ بعد السِّقاية لهما[4]، وعدمِ محادثتِهما بشيء زائد عنِ المقدار.

نُكْتَةُ تعريفِ ﴿ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ وبلاغتُه:

الوصفُ للجِنس مُرادٌ بهِ العموم

التَّعريف باللّام في ﴿ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ للجنس لا للعهد، مُرادٌ بهِ العمومُ، فيكون موسى ﷺ مُندرجًا تحتَه، كأنَّها قالت: ﴿يَـٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾؛ فإنَّه حقيقٌ بالاستئجار؛ لأنَّه قويٌّ أمين، وكُلُّ مَنْ هذا شأنُه فهو لائقٌ بالاستئجار حقيقٌ به، فهو أبلغُ من أن يُقال: استأجره فإنَّه هو القويُّ الأمينُ[5].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 106.
(2) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 172، وابن المُنيّر، الانتصاف: 3/ 172.
(3) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 4/ 175، والمظهريّ، تفسير المظهريّ: 7/ 158.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 560.
(5) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 499، والهرريّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 21/ 152.

نُكْتَةُ اقترانِ صفتَي القوّة والأمانة:

تمامُ المقصود لا يكون إلّا باقتران الأمانة بالقوّة

جاء وصفُ ﴿ٱلْقَوِيُّ﴾ مقترنًا بصفة ﴿ٱلْأَمِينُ﴾، و﴿ٱلْقَوِيُّ﴾ من حيثُ الإعرابُ موصوفٌ وهو خبرُ ﴿إِنَّ﴾، إلّا أنَّه صفةٌ من حيثُ المعنى، وجاء وصفُه بالقويّ لِما تحلَّى به من قوّة السَّقي، وبالأمين لِما فيه منَ الحياء والعِفَّة؛ لأنَّه إذا اجتمعتِ الأمانةُ والكفايَةُ في القائم بأمرٍ، فقد تَمَّ المقصودُ وتحقّق المُراد[1]، ومن جمع في سلوكه وخُلُقِه بينَ القوّة والأمانة، كان أهلًا لكلِّ خير، ومحلًّا لثِقةِ النّاس به على أموالهم وأعراضهم[2].

نُكْتَةُ تقديمِ القوّة على الأمانة:

تقديمُ الأصل - وهو القوّة - على مُتمِّمِه؛ وهي الأمانة

ناسبَ تقديمَ ذِكْرِ القوّة على الأمانة في قوله تعالى: ﴿ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾؛ لأنَّ المقامَ يتطلّبُ القوَّة؛ لأنَّ الفعل لا يتمُّ إلّا بها، ولذا جاء قولها: ﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ﴾، فبالقوّة يكون الفعلُ، وبالأمانة يكون تمامُ الفعل، فغيرُ القويِّ لا يفعل، وغيرُ الأمين لا يُتمّمُ الفعلَ، وقد لا يفعلُه أصلًا، فالقوّة تُعين الإنسانَ على أداء العمل، وتشمل الخبرةَ والمعرفة[3]، فقُدِّم الأصلُ على متمِّمه.

بلاغةُ الجُمَلِ الجامعة:

اجتماعُ فنِّ الإيجاز والمذهبِ الكلاميّ، وتقديمُ الأهَمّ والمثَل والعموم

قولُه تعالى: ﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ كلامٌ جرى مجرى العموم، وهو يَصْلُح أن يكون كالمَثَل السّائر، والحِكمةِ البالغة، وقد حوى الإيجازَ، والمَثَلَ، والتَّعميم، والإبهامَ، والمذهبَ الكلاميّ، وتقديمَ الأهمّ، وهذا التَّذييلُ منَ الكلام الجامع المانع الحكيم الذي لا يُزاد عليه؛ لأنَّه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان في القائم بالأمر، والمُتعهّدِ للشُّؤون، وهما الكفايةُ والأمانة، فقد فرغ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 298، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 269.
(2) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 10/ 396.
(3) العثيمين، تفسير سورة القصص، ص: 105، وشحاته، تفسير القرآن الكريم: 20/ 3985.

البالُ وتَمَّ المُرادُ، وأصبح هذا القولُ مثلًا سيّارًا يتداولُه النّاسُ على مَرِّ العصور، وقدِ استغنت بإرسال هذا الكلام الذي سياقُه سياقُ المَثَل، والحِكمة أن تقول: استأجره لقوَّته وأمانته[1]. ومجيءُ هذا العموم عقبَ الحديث عن شخص معيّن، يُؤْذِنُ بأنَّ المُتحَدَّثَ عنه ممّن يشملُه ذلك العموم، فكان ذلك مصادِفًا المَحَزَّ منَ البلاغة، إذ صار إثباتُ الأمانة والقوّة لهذا المُتحَدَّثِ عنه إثباتًا للحُكم بدليل؛ فتقدير معنى الكلام: استأجره فهو قويٌّ أمينٌ، وإن خيرَ مَن استأجَرَ مستأجِرٌ القَويُّ الأمينُ، وبذلك استوفت غايةَ مقتضى الحالِ، فكانت بالغةً حَدَّ الإعجاز[2].

(1) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 403.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 106.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»